

التفسير الإيديولوجي للصراع الإيراني-السعودي

إلياس ميسوم،

جامعة وهران 02 محمد بن أحمد، الجزائر.

كلية الحقوق والعلوم السياسية.

البريد الإلكتروني: ilyespoli@hotmail.com

ملخص:

بعد الصراع الإيراني - السعودي أحد أكثر الصراعات القائمة حدة، والذي تم تفسيره على ضوء عدة أسباب ونظريات، وهذا راجع بشكل أساسي إلى الظاهرة الصراعية في حد ذاتها حيث تعتبر حمالة أوجه إذ يمكن قراءتها من عدة زوايا وأبعاد، إضافة إلى تشابك القضايا الخلافية بين طرفي الصراع. وقد بلغ التنافس السعودي - الإيراني مرحلة دراماتيكية منذ بداية عام 2016. أدت إلى قطع العلاقات الدبلوماسية لثلاثة مرة في تاريخ العلاقات بين البلدين.

وفي هذه الورقة تسعى إلى محاولة الاقتراب الصراع الإيراني - السعودي بالاعتماد على أحد المداخل الأكثر شيوعاً في تفسير الصراع الدولي، وتقصد بذلك المدخل الإيديولوجي أي الأفكار والمعتقدات السياسية التي تتبناه دولة ما وتبني عليها سياستها وتوجهاتها مع العالم الخارجي. لا سيما أن كل من إيران والسعودية تمثلان نظامين سياسيين يدعيان أن سياستهما ترتكز على الإسلام والقيم الإسلامية. بيد أن الفرق الرئيسي بينهما يكمن في أن ميادئهم الرئيسية تنبع من تفسيرات متباينة للإسلام (الوهابية/الشيعة). وعليه، فإن التساؤل الذي تسعى الدراسة للإجابة عليه يتمحور في: هل يلعب المتغير الإيديولوجي دوراً حاسماً في التوترات الحالية بين إيران والمملكة العربية السعودية؟

الكلمات المفتاحية: الصراع، الصراع الإيراني - السعودي، نظريات تفسير الصراع، المدخل الإيديولوجي، الوهابية، الخمينية.

Résumé :

Le conflit irano-saoudien, est l'un des évènements les plus marquants, qui se manifeste avec autant d'acuité en raison de certains paramètres et théories, principalement la nature conflictuelle qui porte sur plusieurs aspects multidimensionnels avec lesquels il faut évoquer tous les facteurs possibles sur

différentes formes et angles en vue de pouvoir voir plus clair sans oublier les questions en suspens et les litiges qui perdurent entre les parties en conflit.

Les rivalités entre les camps ont atteint une étape dramatique à partir de l'an 2016 où on a assisté à une rupture des relations diplomatiques pour la troisième fois dans l'histoire des deux pays.

Dans cet article, nous essayons d'esquisser une approche sur le conflit irano-saoudien en favorisant l'introduction la plus répandue dans le traitement d'un conflit international en évoquant tout d'abord le plan idéologique c'est-à-dire les idées et les croyances politiques que le pays adopte, toutefois, sur la base de ces données toutes les recommandations, orientations seront désormais issues de la politique qui régit les relations internationales, d'autant plus les deux nations représentent deux systèmes politiques qui prétendent que leurs politiques respectives prônent et incarnent les valeurs de la religion musulmane. Alors que l'écart principal entre eux réside clairement dans leurs principes fondamentaux (wahhabite/chiite) ce qui interprète les divergences d'interprétations dans les faits de leurs actions.

Enfin, cette étude est axée sur la question suivante : la variante idéologique peut-elle jouer un rôle déterminant dans l'apaisement des tensions actuelles entre l'Iran et l'Arabie saoudite ?

Mots-clés : conflit ; du conflit irano-saoudien ; théories de l'interprétation des conflits ; idéologique ; wahhabisme ;

Khomeynisme,

مقدمة:

يعد الصراع من الظواهر الإنسانية التي عرفها البشر منذ الأزل، نتيجة لعدة أسباب واعتبارات قد تكون مادية أو نفسية أو فكرية...، وعلى هذا يمكن التمييز بين نوعين رئيسيين من الصراعات: صراع القيم كالصراع العرقي، الديني، والإيديولوجي، وصراع المصالح كالصراعات الحدودية، صراعات الهيمنة، الصراعات الاقتصادية. بيد أن العلم الأكاديمي

الذي يدرس الظاهرة الصراعية، على عكسها يمكن أن نعتبره حديثاً نسبياً ومتعدد الأقطاب والزوايا من علم اجتماع إلى اقتصاد إلى علم النفس ... إلى علم السياسة والعلاقات الدولية، فهو يحتوي على مقاربات نظرية كثيرة ومستويات عديدة ومتباينة للتحليل، إضافة إلى تداخله وتراپطه مع مفاهيم أخرى كالنزاع (Dispute) عدم الاتفاق، التوتر، المنافسة، الاختلاف، الأزمة، الحرب. كل هذا جعل الصراع واحداً من أكثر المفاهيم غموضاً وإثارة للجدل وعدم التوافق على معناه. هذا فضلاً عن التفاوت في مستويات الظاهرة الصراعية من حيث المدى والكثافة والعنف. ويعرف الصراع بشكل عام على أنه: "تنازع الإدارات القومية وهو التنازع الناتج عن الاختلاف في دوافع الدول وفي تصوراتها وأهدافها وتطلعاتها وفي مواردها وإمكاناتها مما يؤدي إلى تعارض الأحداث والمواقف ويؤدي في التحليل الأخير إلى اتخاذ قرارات وانتهاج سياسات خارجية تختلف أكثر مما تتفق"⁽¹⁾.

أمّا، فيما يتعلق بالنظريات المفسرة للصراع فهي تنصف بالتنوع والثراء. كما تتميز أنها عابرة للتخصصات حيث أن فروغاً علمية كثير اهتم به وعالجته سواء كظاهرة عامة، أو بالتركيز على الصراع الدولي بوجه خاص. ولعل أكثر المداخل التفسيرية للصراع شهرة تلك المتعلقة بالصراع الأيديولوجي بين الأطراف الدولية، حيث لقي هذا التفسير صدى كبير لدى العديد من المفكرين والباحثين لاسيما في منتصف القرن المنصرم أثناء الصراع الكوني بين القطبين الغربي والشرقي، ويحاول المدخل الإيديولوجي (The Ideological Approach) تفسير أسباب التصادم بين الأمم من خلال إرجاعها لأسباب فكرية وعقائدية.

والحقيقة أن هذا التفسير يعود بجذوره الحديثة للنظرية والفكر الماركسي المبنيان أساساً على الصراع الطبقي كحتمية تاريخية، ذلك أن التاريخ البشري وما هو سوى تاريخ للصراع بين الطبقات. ومع قيام الاتحاد السوفيتي تم إحياء هذه الإيديولوجية القائمة على التصادم، حيث أن التناقضات الإيديولوجية بين القوى الدولية في المجتمع الدولي تمثل الحقيقة الأساسية التي تنبع منها وتدور في فلكها كافة أشكال الصراعات الدولية المعاصرة. وعلى هذا الأساس، فإن حدوث الصراع الدولي-طبقاً لهذا المدخل- يترتب على التناقض في

(1) محمد نصر مهنا وخلدون ناجي معروف، تسوية المنازعات الدولية مع دراسة لبعض مشكلات الشرق الأوسط، (القاهرة: مكتبة غريب للطباعة والنشر، 1996)، ص 9.

الرؤى الإيديولوجية والنتائج المرتبطة به التي تجعل من غير الممكن تسوية أو حل هذه الصراعات من خلال عملية المساومة. بل إن الأمر يصبح أكثر صعوبة عندما يتعلق الموقف بصراعات المصالح المرتبطة بتشعب الاختلافات الإيديولوجية بين طرفي أو أطراف الصراع، حيث يضيف البعد الإيديولوجي وضعا خاصا على الصراع يزيد من تعقيدته، فيصعب بالتالي على طرفيه-أو أطرافه-التوصل إلى حلول مرضية لكليهما⁽¹⁾.

يبد أن التفسير الإيديولوجي دونه عدة مشاكل لعل أبرزها الخلل القائم في مفهوم الإيديولوجية في حد ذاتها حيث تعد كلمة إيديولوجيا كما يشير عبد الله العروي دخيلة على جميع اللغات الحية وتعني لغوياً في أصلها الفرنسي علم الأفكار، لكنها لم تحتفظ بالمعنى اللغوي إذ استعارها الألمان وضموها معنى آخر، ثم رجعت إلى الفرنسية فأصبحت دخيلة حتى على لغتها الأصلية، وعلى هذا الأساس ليس من الغريب أن يعجز الكاب العرب عن ترجمتها أو استيعاب معناها بشكل مرضي، حيث أن العبارات التي تقابلها على غرار منظومة فكرية، عقيدة، أو ذهنية إلخ. تشير في الحقيقة إلى معنى واحد من بين معانيها.⁽²⁾ وقد ظهرت كلمة إيديولوجيا أول مرة سنة 1796م مع الفيلسوف الفرنسي أنطوان ديتو دو تراسي (Antoine Destutt de Tracy) رائد الوضعية ووريث المدرسة الحسية (sensualisme) لـ إيتين بونوت دي كوندياك (Étienne Bonnot de Condillac). وقد كان دو تراسي أول من صاغ كلمة إيديولوجيا لتسمية عملية تحليل الأفكار بصفتها أشياء بعيدة عن أي مدلول ميتافيزيقي، وكرادفعل طبيعي للأفكار شبيه بعلم النبات وعلم الحيوان الطبيعيين، بهدف دراسة أصول هذه الأفكار وعلاقتها بطريقة تجريبية ومنطقية. وتوفر الإيديولوجيا على شحنة انفعالية كبيرة تقرب الشقة بينها وبين العاطفة الدينية، وعلى جهاز منطقي عقلي يعطيها مظهراً علمياً وفلسفياً، بيد أنها في الحقيقة ليست علماً ولا فلسفة ولا ديناً⁽³⁾. كما تحدد الإيديولوجية أو الأدلوجة أفكار وأعمال الأفراد والجماعات بشكل خفي وغير واع، ولكي يصل الباحث إلى رسم عالمها لا بد له من تحليل وتأويل أعمال أولئك المعاصرين لها⁽⁴⁾. وإذا أسقطنا هذا الكلام على الصراع الإيراني -

(1) محمد نصر مهنا وخذلون ناجي معروف، المرجع السابق، ص 12.

(2) عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، ط8، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2012)، ص

(3) داريوش شايفان، ما الثورة الدينية؟ الحضارات التقليدية في مواجهة الحداثة، ترجمة: محمد الرحمولي، (بيروت: دار الساقي، جنيف: مع المؤسسة العربية للتحديث الفكري، 2004)، صص 217، 225.

(4) عبد الله العروي، المرجع السابق، ص 11.

السعودي أي تفسير الصراع من منطلق إيديولوجي، فإنه يتحتم علينا الرجوع بالذاكرة إلى الوراء قليلاً حتى يتسنى لنا رصد واستخلاص الإيديولوجية التي قام عليها النظاميين السياسيين السعودي والإيراني؛ لا يتطلب الأمر الكثير من الجهد والتفكير حتى يتضح لنا أن كل من الوهابية السعودية والاثنا عشرية الخمينية هما الإيديولوجيتان اللتان شكلتا حجر الزاوية في المملكة العربية السعودية والجمهورية الإسلامية الإيرانية. وعليه، يشكل كل من مصطلح السلفية (الوهابية) والشيوعية (الخمينية) البعد الإيديولوجي والثقافي الأهم للصراع. وتؤكد الحقيقة التاريخية أن الوهابية السعودية والخمينية الإيرانية لعبتا دوراً مهماً وأساسياً في ظهور الدولة (حالة العربية السعودية) أو النظام (حالة إيران الإسلامية)، فالسعودية ككيان دولاتي كانت نتيجة لتحالف الواقع بين القوة العسكرية والمالية المتمثلة في آل سعود والدعوة الوهابية، والجمهورية الإسلامية كانت نتيجة لثورة شعبية ترعها آية الله الخميني (1902-1989)، صاحب أهم نظرية سياسية شيعية معاصرة في الحكم. ومع اختلاف النظامين غير أن الدين أو الفكرة الدينية المسيصة أو المذهب يعتبر أحد أهم دعائم النظام ومرتكزات قوته ومصادر شرعيته واستقراره، إضافة أنه يشكل أحد قنوات التنقيف السياسي وتغذية الصراع، كما يعد ووسيلة للتنفيذ الخارجي أيضاً. لهذا السبب من المناسب التعرف على الفكر الوهابي والفكر الاثنا عشري، والأهم من هذا الوقوف على نظرة كل طرف إلى الآخر حتى تتمكن في النهاية من الخروج بإجابة عن تساؤلنا، والذي يتحور حول هل الصراع الإيراني-السعودي عد صراعاً إيديولوجياً؟ أو بالأصح هل يلعب المتغير الإيديولوجي دوراً حاسماً في التوترات الحالية بين إيران والمملكة العربية السعودية؟ أم أنه مجرد أداة يتم توظيفها في سياقات معينة؟

إن الإجابة عن هذا السؤال تحتم علينا الرجوع بعض الشيء إلى أدبيات الفكرين الوهابي والجعفري، وسنبداً بالوهابية ونقوم بسرد لمحة عامة عن هذا الفكر وخصائصه ثم ننتقل إلى الشيعة الخمينية، وأخيراً نظرة كل طرف إلى الآخر بالاستناد إلى آراء مفكرهم.

أولاً: عن الوهابية

ترتبط الوهابية (Wahhabism) أو الفكر الوهابي ارتباطاً وثيقاً بآل سعود والدولة التي أقاموها في الدرعية (نجد) ابتداءً من عام 1744م ما سمي آنذاك إمارة الدرعية وإلى غاية الدولة السعودية الثالثة (1932-) بقية الوهابية تشكل ركناً جوهرياً تستند عليه الدولة،

حيث كانت السلفية كما يحلو لأنصارها تسميتها بمثابة الإيديولوجية والدعوة التي استندوا عليها لقيام الدولة السعودية بدعوى محاربة البدع والضلالات وإقامة الإسلام الحق (إسلام السلف الصالح). واستناداً على هذا المنطق الوهابي السعودي أُعتبر كل مخالف لهم مهرطقاً وكافراً وجب وحاربه، بيد أنه كان للشيعنة والصوفية على وجه التحديد كما توضح كتب التاريخ الحظ الأوفر من هذه الحرب.

استمر التحالف بين الوهابية وآل سعود حتى الوقت الحالي مرد ذلك يعود أن نجاح كليهما كان مرتبط بالآخر لاسيما أن دعوة محمد عبد الوهاب كانت دينية (عقيدة) خالصة، حيث ما كان بالإمكان أن تنجح وتهمن على المنطقة وتقيم إيديولوجية سياسية ويكأن سياسياً يمثلانها دون القوة العسكرية والمالية (آل سعود) التي تستند عليها وتستفيد منها في تحقيق أهدافها الدينية، ونفس الحال ينطبق على عائلة آل سعود التي مكنتها الوهابية الثقافية من تجنيد أبناء القبائل دون امتلاكها للعصبية القبلية. ويدرك القارئ لتاريخ الدولة السعودية في أطوارها الثلاثة أنها كانت تقوم بشكل أساسي على الوهابية أكثر منها على آل سعود، ذلك أن محمد بن عبد الوهاب كما تشير المصادر التاريخية كان أقوى شخصية في الدولة والحاكم الفعلي لها وإن لم يدعي ذلك، لاسيما آل سعود لم يكون يستندون إلى عصبية قبيلة أو وعاء قبلي كبير يحتويهم ويمدهم بالشوكة على حد تعبير بن خلدون. وعلى ذكر هذا الأخير لا يعتبر التفسير الخلدوني لقيام الدولة أحسن التفسيرات في نشأة الدولة السعودية، ذلك أن التفسير الخلدوني يرفع من شأن القبيلة والعصبية بحيث تكون المبتدأ والمنتهى لأي عمران حضري. في حين لم تتركز الحالة السعودية على العصبية بشكل أساسي وإنما ارتكزت على الدعوة التي وجدت من خلالها القبائل البدوية التوافق للغزوي حالة تشبه في بعض جوانبها قيام الدولة الإسلامية التي ارتكزت على الدعوة النبوية وليس على العصبية القبلية والعشائرية.

وبالعودة للدعوة الوهابية فقد جاءت من الناحية الفكرية بالمنهج السلفي حسب اعتقاد المؤمنين بها، بهدف ما تعتبره تنقية لعقائد المسلمين والتخلص من العادات والممارسات التعبدية التي انتشرت في بلاد الإسلام وترى فيها الوهابية مخالفةً لجوهر الإسلام التوحيدي مثل: التوسل، والتبرك بالقبور وبالأولياء، والبدع بكافة أشكالها. ويصفها أتباعها بأنها دعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والرجوع إلى الإسلام الصافي وطريقة السلف الصالح في إتباع القرآن والسنة. فالوهابيون يعتقدون أنهم حملة لواء

الإسلام الحق الخالي من الشوائب والبدع الذي يجب على سائر المسلمين إتباعه. ويعتبر هذا التصور نقطة جوهرية لديهم تجعلهم يجدون تبريرات لكل سلوكياتهم وأفعالهم، غير أن المفارقة تكمن أنهم يتقاطعون في هذه النقطة بالتحديد مع الشيعة، ذلك أن السلفية الشيعية لا تختلف في إطارها المرجعي العام عن السلفية السنية (الوهابية)، فكلهما تعلن التزام الكُتاب والسُّنة لكن مع انضباط قائمة السلف لدى السلفية الشيعية واقتصارها على أئمة آل البيت⁽¹⁾. هذه المزايدة على الإسلام من الطرفين جعلت الصراع ينتقل من اختلاف مذهبي وفقهي قديم إلى صراع إيديولوجي سياسي على من يتزعم العالم الإسلامي بمعنى أيهما يمجّد النموذج الحقيقي والحصري للإسلام والدولة الإسلامية. دفع هذا إيران أن ترى في السعودية منافس إيديولوجي لها ونفس الحالة تنطبق على السعودية، يعني هذا أن الصراع الإيديولوجي بين الوهابية والخمينية خرج عن نطاقه الديني والثقافي ليمتد إلى عالم السياسة والرغبة في الهيمنة على الإسلام، ذلك أن النظامين السعودي والإيراني يشتركان في نقطة الادعاء بإسلامية نظاميهما.

أما أصول الفكر الوهابي، فقد اعتمد بشكل أساسي على أفكار مؤسسه محمد بن عبد الوهاب (1703م - 1791م)، وهو عالم دين سُني (حنبلي) من قبيلة بني تميم في منطقة نجد البدوية وبالتحديد في العيينة من وادي حنيفة وسط نجد، والقائد الديني واللاهوتي الأول للدولة السعودية الأولى، اشتهر بدعوته إلى رد الإسلام إلى شكله الأصلي مع التركيز على التوحيد والعقيدة، ومن أشهر مؤلفاته كتاب التوحيد، كتاب الأصول الثلاثة، أصول الإيمان... وقد التقى محمد بن عبد الوهاب بعد خروجه -أو بالأصح طرده من طرف حليفه الأول عثمان بن معمر- من بلدته العيينة بأمر الدرعية محمد بن سعود آل مقرن (1710م - 1765 م). واتفق الرجلان على إقامة الدولة السعودية - الوهابية عام 1744. وفي ذاك اليوم - كما يقول أمين الريحاني - عُقد العهد بين عقيدة المصلح وسيادة الأمير أي بين المذهب والسيوف.⁽²⁾ ويؤكد المستشرق الفرنسي لويس ألكسندر أوليفيهو كورانشي (Louis Alexander Olivier De Corancez) أن التحالف الذي كان بين الرجلين يعد من الأسباب الرئيسية لانتشار المذهب الوهابي في كامل الجزيرة العربية،

(1) عبد الله البريدي، السلفية الشيعية والسُّنية بحث في تأثيرها على الاندماج الاجتماعي، (بيروت: الشركة العربية للأبحاث والنشر، 2013)، ص 36-37.

(2) أمين الريحاني، تاريخ نجد الحديث وملحقاته، ط1 (بيروت: المطبعة العلمية ليوسف، 1928)، ص 30.

حيث زاد الحركة قوة جعلتها تخرج من مهدها في أرض نجد وتؤسس لشعب وهوية جديدة تحت اسم الوهابيين⁽¹⁾.

وترتكز الوهابية بشكل كبير وعلى إحياء فكر تقي الدين ابن تيمية (661هـ - 728هـ/1263م - 1328م) وتلميذه ابن قيم الجوزية (691هـ - 751هـ/1292م - 1350م)، لا سيما في مجال العقيدة. أين تعد كتب ابن تيمية مرجعاً لا غنى عنه. ومن أهم المصادر التي يبني عليها الوهابيون فكرهم والتي تصدر المكتبات الإلكترونية الوهابية نجد: منهاج السنة النبوية في الرد على الشيعة والقدريّة لـ ابن تيمية؛ درء تعارض العقل والنقل لـ ابن تيمية؛ مجموع الفتاوى لـ ابن تيمية، طريق المهجرين لـ ابن قيم الجوزية؛ كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد لـ محمد بن عبد الوهاب؛ أما في مجال الفقه فقد اتبعت الوهابية مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

ومن الناحية التاريخية كان أتباع هذه المدرسة السابقون يطلقون على أنفسهم اسم "الموحدون" أو "المسلمون" في مقابل المشركين، حيث أن جل كتاباتهم التاريخية تستعمل هذا الاسم، أما خصومهم فكانوا يطلقون عليهم اسم "الخوارج". في حين أن أتباع هذه المدرسة الحاليون يفضلون استخدام اسم "السلفية" و"السلفيون". وقد شاع أيضاً استخدام اسم "الوهابيون" من الطرفين كاسم علم عليهم من باب أنهم يشكلون تياراً فكرياً مميزاً له تاريخه وخصائصه ومصنفاته وشيوخه، وهو يختلف عن التيار العام للسلفية في كثير من الأمور⁽²⁾. بينما يرفض الوهابيون اسم وهابية ويفضلون سلفية عليه، وهم يبررون هذا الأمر من خلال الاستناد إلى عدة نقاط: أولها أن الوهاب اسم من أسماء الله الحسنى لا ينبغي أن يُنسب لغير الله. كما أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يبتدع مذهباً جديداً، ناهيك أن مسمى الوهابية يعود بالأساس إلى الحركة الخارجية الوهابية الإباضية التي أسست في القرن الثاني الهجري شمال إفريقيا على يد عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم، كما أن المسمى منسوب لأب محمد بن عبد الوهاب، والأخرى أن تسمى الحركة باسمه أي المحمدية نسبة إليه لا لأبيه.

(1) لويس دو كورانس، الوهابيون تاريخ ما اعمله التاريخ، ترجمة: مجموعة من الباحثين، (لندن: رياض الريس للكتب والنشر، 2003)، ص 18.

(2) أحمد الكاتب، الفكر السياسي الوهابي قراءة تحليلية، ط3 (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2008)، ص

ويرى الباحث رياض الصيداوي أن الحديث عن الوهابية بشكل عام فقط يعد خطأً علمياً والتسمية الأدق هي: "الوهابية السعودية"، وهي بذلك تعني التحالف التاريخي بين السلطة السياسية المالية ممثلة في محمد ابن سعود والسلطة الدينية ممثلة في ابن عبد الوهاب، وبالتقاءهما تشكل هذا المذهب على أرض الواقع⁽¹⁾. ومن هنا يمكن تعريف الوهابية السعودية، أنها حركة سياسية دينية سنية حنبلية تأسست في القرن الثامن عشر من قبل محمد بن عبد الوهاب ووفقاً لرؤية متممة ومتصلة وطهرانية (Puritanism) تدعو إلى رد الإسلام لشكله الأصلي الأرثوذكسي الذي يستند على النص القرآني والحديث والتفسير الحرفي والمحافظة لهما. أما، جون لويس بوركهاردت (John Lewis Burckhard) فيعتقد أن مذهب الوهابيين وعقيدتهم تحاول العودة إلى أصول الإسلام وتنصيب القائد الديني والسياسي للأمة الذي يمارس سلطاته مثلها كان خلفاء الرسول (ﷺ) يمارسون سلطتهم على أبناء البلاد التي دخلت الإسلام⁽²⁾.

ويعتقد الوهابيون أنهم المجدد الحقيقي والوحيد والصورة الأنقى لأهل السنة والجماعة أو ما يمكن أن نسميه الفرقة الناجية. ومما يميز السلفية الوهابية بأنها فتحت الباب واسعاً أمام ضوابط شديدة الصرامة، حيث أن تركيزها على الجانب المعتقدي التوحيدي (العقيدة الواسطية) قسم العالم عندهم بشكل ثنائي متضاد: عالم مشرك كافر وآخر مسلم صحيح الإيمان يمثلهم أهل التوحيد⁽³⁾. هذه النظرة الرجعية المنغلقة جعلت الفكر الوهابي والمملكة السعودية يتعرضان في السنوات الأخيرة إلى الكثير من الانتقادات وهجمة شرسة من طرف الإعلام الغربي والأمريكي بالتحديد، خصوصاً بعد أحداث 11 سبتمبر باعتبار الفكر الوهابي يشكل نواة وآلية لتفريخ التطرف والإرهاب إلى درجة أصبح فيه كلمة وهابية أقرب إلى المحرمات السياسية في العقود الأخيرة⁽⁴⁾.

(1) رياض الصيداوي، "الوهابية السعودية أخطر الحركات الدينية"، الحوار المتمدن، العدد: 3020، 2015/05/31، شوه في 2018/02/01، في: <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=217477>

(2) جون لويس بوركهاردت، ملاحظات عن البدو والوهابيين، ترجمة: صبري محمد حسن، ج 2 (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2007)، ص 61.

(3) جمال سند السويدي، السراب، (أبو ظبي، [د.ن.، 2015]، ص 400.

(4) ستيفن لأكروا، "المباعدة بين الإسلاميين والليبراليين في المملكة العربية السعودية"، ضمن: بول ارثس وغريد نونمان (تحرير)، المملكة العربية السعودية في الميزان الاقتصادي السياسي والمجتمع والشؤون الخارجية، ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013)، ص 59.

يعود السبب في ذلك لما يحمله المذهب من محافظة وجود إلى درجة التطرف جعل منه من أكثر الاتجاهات الدينية الإسلامية محافظةً، فهو كما يقول: وليد عبد الحي: " حركة سُنية تدرث (تغطت) بالمذهب الحنبلي الأكثر محافظاً من بين المذاهب السُّنية الأربعة، واتكأت على تراث بن تيمية الأكثر محافظةً في الحنبلية، وجاءت الوهابية لتكون امتداداً لهذا كله بل وأكثر". فالتراث المحافظ للوهابية من جهة والبيئة النجدية القاسية صنع من الوهابية حركة متطرفة جداً ضد خصومها السياسيين والدينيين ومخالفاتها، سمّتها الأساسية العنف المبالغ فيه، ويؤكد هذا الكلام المصادر وكتب التاريخ بما في فيها المصادر الوهابية التي تناولت هذه الفترة⁽¹⁾، أمثال: بن غنام في كتابه: تاريخ نجد، وبن بشر في كتابه: المجد في تاريخ نجد، حيث وصف الحسين بن غنام حال المسلمين في شبه الجزيرة العربية قبل قيام الدعوة الوهابية بقوله: " [...] كان أكثر المسلمين في مطلع القرن الثاني عشر الهجري قد ارتكسوا في الشرك وارتدوا إلى الجاهلية [...] ". أمّا، علاقة الوهابية بالشيعة وهو الأمر الذي يهمنا أكثر، فيتضح من خلال وصف بن غنام دخول الوهابيين الأحساء، إذ قال: "[...] ثم غزا المسلمون (الوهابيون) وأميرهم عبد العزيز الأحساء وكان خيلهم نحو ثلاثين، فأناخ في مكان يسمى المطير في وهمج على من كان فيه من المشركين (الشيعة)، فقتل منهم سبعين رجلاً وأخذ المسلمون كثيراً من الأسلحة والأمتعة والدواب"⁽²⁾. ويؤكد بن بشر هو الآخر نفس الكلام تقريباً بل يزيد عليه في وصف دخول قوات آل سعود إلى مدينة البصرة العراقية فيقول: "[...] ثم سار منها إلى البصرة وتزل عندها وسار المسلمون إلى جنوبها فنهوا فيه وقتلوا قتلاً [...] "⁽³⁾. كما وصف محمد جواد مغنية، في كتابه: هذه هي الوهابية، دخول الوهابيين إلى كربلاء، فقال: "[...] وكذلك غزا عبد العزيز كربلاء بجيشه الذي قاده ولده سعود، وهدم قبر الحسين، ونهب جميع ما فيه من الذخائر، وأعمل السيف بالكر بلائين رجالهم ونساءهم وأطفالهم وكان ذلك سنة 1216 هـ [...]، وقتل عبد العزيز سنة 1218 اغتاله رجل من الشيعة انتقاماً منه لما فعله بضريح الحسين في

(1) وليد عبد الحي، "الجنو وهابية"، شوهد في 2018/02/01، في:

<https://www.facebook.com/permalink.php?id=699757480038115&story_fbid=781048458575683>

(2) الحسين بن غنام، تاريخ نجد، تحرير وتحقيق: ناصر الدين الأسد، ط4 (بيروت: دار الشروق، 1994)، صص 13، 122.

(3) عثمان بن عبد الله بن بشر النجدي الحنبلي، عنوان المجد في تاريخ نجد، تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ج 1، ط4 (الرياض: مطبوعات دار الملك عبد العزيز، 1982)، صص 90، 296.

كربلاء..."]⁽¹⁾. كما أنّ القارئ للكّابات المنجزة حول الوهابية سواء السّنية أو الشيعة يلاحظ أنّ الكثير منها يتفق حول الطابع العنيف والتكفيري لها. ولعل من المناسب هنا أن نستعرض بعض من كتبوا عن الوهابية باعتبارها حركة دينية، فن الذي عاصروا الدعوة الوهابية نجد: أحمد بن زيني دحلان، الذي كان مفتي مكة على المذهب الشافعي ومعاصراً للدعوة الوهابية الأولى، إذ وصف سلوك أتباع الوهابية فقال: "[...] صاروا يعتقدون أن من لم يعتقد ما قاله ابن عبد الوهاب فهو كافر مشرك مهدر الدم والمال...]"⁽²⁾. ناهيك أن أخ محمد بن عبد الوهاب ويدعى سليمان لم يكن راضياً على أفكار أخيه، فكتب رسالة مطولة أسمها: الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية ينصح فيها أخاه ويرد فيها على أفكاره التي رأى فيها تطرفاً وغلواً كبيرين.

وواقع الحال أن علماء الدين المعاصرون نجد أغلبهم يؤكدون على الطابع العدواني الوهابية، فنجد مثلاً: محمد سعيد رمضان البوطي يرى أن وصف الوهابية بالسلفية لا يصح، إذ أن معنى السلف في الاصطلاح يعني أفضل العصور الإسلامية وأولها بالافتداء والإتباع، وهي القرون الثلاثة الأولى من عمر الأمة الإسلامية، أما مصطلح السلفية (الوهابية) فهو مصطلح طارئ على تاريخ الشريعة الإسلامية والفكر الإسلامي⁽³⁾ لا يمت له بأي صلة من قريب أو من بعيد. في حين يشير المفكر الإسلامي المصري محمد عمارة إلى أن الوهابية تتميز عن غيرها من التيارات الإسلامية بفكرها المحافظ البسيط وأفاتها المحدودة وأساليبها البدوية العنيفة ما جعلها تنحصر في أعراب الجزيرة وحدهم دون سواهم⁽⁴⁾. وحتى مركز البحث الغربية، وإن كان لكل واحد منها تعريف خاص للوهابية غير أنها أجمعت كلها أنها - وإن اختلفت تعاريفها- تتضمن صفات كالشدد، التزمّت، الراديكالية، العنف، الأصولية، والتكفير⁽⁵⁾.

ويُعتبر الوهابيون في المملكة العربية السعودية بحكم دورهم في تأسيس الدولة المسيطرين على المشهد الديني، بيد أنهم لا يشكلون أكثرية في المملكة كما يعتقد البعض بل هم مجرد أقلية مسيطرة يقدر عددهم بحوالي 04 مليون أي حوالي 22% من عدد

(1) محمد جواد مغنية، هذه هي الوهابية، (إد. م. د. ن.، د. ت.)، ص ص 141-142.

(2) أحمد بن زيني دحلان، فتنة الوهابية، (إستابول: مكتبة أنشيق كتاب أوى، 1978)، ص 5.

(3) محمد سعيد رمضان البوطي، السلفية: مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، (دمشق: دار الفكر، 1988)، ص 9.

(4) محمد عمارة، تيارات الفكر الإسلامي، ط 2 (القاهرة: دار الشروق، 1997)، ص 258.

(5) تامر طه بكر، السلفية بعيون غربية، (الرياض: مركز البيان للبحوث والدراسات، 2015)، ص 48.

السكان، يستقر أغلبهم في منطقة نجد⁽¹⁾. ويؤكد كل من بول ارتس (Paul Aarts) وكارولين رولانتس (Carolien Roelants) هذا الأمر، إذ يعتبران أنه رغم النفوذ الذي تتمتع به هذه الحركة (الوهابية) يشكل الوهابيين أقلية بين المسلمين السنة في العربية السعودية⁽²⁾.

والحقيقة أن النفوذ الوهابي داخل المملكة وخارجها قد تركز أكثر بفضل العوائد النفطية حيث كانت لهذه الأخيرة دور كبير في تعزيزه وتمدده، ذلك أن التمويل الناتج عن الصادرات البترولية سمح للوهابيين أن يحققوا نمواً هائلاً وانتشاراً كبيراً مع سبعينيات القرن الماضي سواءً داخلياً أو خارج الحدود من خلال الأنشطة والمؤلفات أو من خلال المؤسسات السعودية الوهابية الخيرية وغير الربحية المنتشرة في كافة أنحاء العالم.⁽³⁾

حيث بدأت الجمعيات الخيرية السعودية بتمويل المدارس الوهابية والمساجد في جميع أنحاء العالم، وعرفت الحركة على هذا انتشاراً في كافة أقطار العالم. لهذا يرى الكثير من الباحثين أن الدولة السعودية تأسست بهوية خاصة وبفئة معينة (وهابية) عممت على جميع المكونات، وهي لا تمثل تاريخاً مشتركاً أو ثقافياً للهويات الأخرى⁽⁴⁾. وعلى هذا تشكل السعودية حالة استثنائية، إذ تعتبر النظام الملكي الخليجي الوحيد الذي تستند فيه هوية الدولة إلى قراءة محددة للمعتقدات الدينية السنية (الوهابية)، وأدى ذلك في النهاية إلى سياسة تمييز طائفي واسعة النطاق مدعومة من قبل الدولة⁽⁵⁾. والواقع أن هذا الأمر يشكل للنظام السعودي العديد من المشاكل بسبب أن خصائص الوهابية والإرث الفكري لها صنعت منها هوية طاردة لا هوية جامعة.

وعلى الرغم أن العلاقة بين النظام والإيديولوجية الوهابية قد مسها الكثير التغير مع مرور الزمن وفقد العلماء الوهابيين الموقع المسيطر الذي كان يتمتعون به أيام مؤسس

Mehrdad⁽¹⁾ Izady, "Demography of Religion in the Gulf", 2013, accessed on 13/10/2017, at:

<http://gulf2000.columbia.edu/images/maps/GulfReligionGeneral_lg.png>

⁽²⁾ بول ارتس وكارولين رولانتس، العربية السعودية: مملكة في مواجهة المخاطر، ترجمة: ابتسام الخضرا (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016)، ص 14.

⁽³⁾ محمد حسن دخيل، أنظمة الحكم في الوطن العربي دراسة مقارنة، (بيروت: دار مكتبة البصائر، 2014)، ص 157.

⁽⁴⁾ بنز إبراهيم ومحمد الصادق، الحراك الشيعي في السعودية: تسييس المذهب ومذهبية السياسة، (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2013)، ص 13.

⁽⁵⁾ لورنس لويز، "الدولة والهويات الطائفية في منطقة الخليج: البحرين والمملكة العربية السعودية والكويت في منظور مقارن"، ضمن: مجموعة باحثين، السياسة الطائفية في منطقة الخليج، تقرير موجز رقم 7 (الدوحة: مركز الدراسات الدولية والإقليمية، 2015)، ص 9.

المذهب، إلى درجة أن ذهب بعض القراء لتاريخ الوهابية أن بن عبد الوهاب كان يسيطر على عملية صنع القرار السياسي حتى وفاته وليس أمير الدرعية محمد بن سعود. وقد استمرت هذا النمط من التسيير إلى غاية سنة 1892، أين بدأ الحكام من آل سعود يسيطرون على المجال السياسي بشكل مطلق، بينما ظل العلماء وأهمهم المتحدرون من نسل محمد بن عبد الوهاب (آل الشيخ) يشكلون جماعات ضغط تسيطر على قطاعات الدين (المؤسسة الدينية الرسمية) والتربية والإدارة والقضاء. وبهذا سار العلماء الوهابيون الشريك الأصغر في التكلل ولم يعد بمقدورهم تطبيق العقيدة الوهابية الصارمة خاصة في السياسية الخارجية⁽¹⁾.

إن سنة 1979 تاريخ انتصار الثورة الإسلامية سوف لن تغير إيران فقط وإنما سوف تبعث الوهابية من جديد، نخوف حكام آل سعود من الثورة الجمهورية التي تهدد المنطقة دفعهم إلى إطلاق يد العلماء الوهابيين من جديد بقيادة عبد العزيز بن باز (1910 - 1999)، بغرض تعزيز شرعيتهم السياسية والدينية. ضف إلى ذلك أحداث الحرم من نفس السنة، حين هاجم جهيمان العتيبي (1936 - 1980) ورفاقه الحرم المكي (1979) واستولوا عليه مطالبين بإسقاط النظام (الكافر)، على إثر هذا قررت الحكومة السعودية توطيد سلطات المؤسسة الدينية الوهابية أكثر درئاً للفتنة ولأي خطر من هذا النوع في المستقبل.

مع ذلك، من الصعب تحديد الدور الدقيق الذي تلعبه الوهابية في قرار السياسة الخارجية السعودية، ولكنها بالتأكيد تعد قوة دافعة ورئيسية لها. ويظهر هذا الأمر بشكل واضح في المواقف والفتوى التي تصدره المؤسسة الدينية الرسمية في السعودية والتي تعبر بلا شك عن رؤية المملكة وموقفها، تلك الفتوى المتعلقة بالشيعة أو صدام حسين أو الربيع العربي أو المتعلقة بفلسطين والمقاومة ضد الكيان الصهيوني، وفي الآونة الأخير كان موقف الوهابية من الأزمة مع قطر يدل بما لا يدع مجالاً للشك أنها تلعب دوراً هائلاً في دعم التوجهات السياسية للمملكة.

ثانياً: عن الاثنا عشرية (الخمينية)

على عكس السعودية يلعب المتغير الأيديولوجي دوراً أكثر وضوحاً في عملية صنع القرار في الجمهورية الإيرانية. يبدو هذا منطقياً بحكم طبيعة زعيم الثورة ونظامها السياسي،

(1) غيد وشتاينبرغ، "علماء الدين الوهابيون والدول السعودية (من عام 1754 إلى يومنا هذا)"، ضمن: بول ارتيس وغريد نونلمان (تحرير)، المملكة العربية السعودية في الميزان الاقتصادي السياسي والمجتمع والشؤون الخارجية، ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013)، ص ص 34-35.

فالمذهب الشيعي الاثنا عشري وما طرأ عليه من تجديد بفضل روح الله الخميني يعد محدداً أساسياً من محددات السياستين الداخلية والخارجية الإيرانيتين. خاصة في العقد الأول من عمرها. وتعتبر مقولة الخميني أصدق تعبير عن ذلك حين أعلن "إننا نواجه الدنيا مواجهة عقائدية"⁽¹⁾. ويتضح أهمية الدين والأيديولوجية للهوية السياسية لإيران من خلال تصنيفها الذاتي كجمهورية إسلامية حيث سبقت في اسمها الرسمي صفة الإسلامية على القومية الإيرانية (الجمهورية الإسلامية الإيرانية)، وهذا التسبق لإسلامية النظام نجده في أغلب المؤسسات الرسمية الإيرانية، ناهيك عن الشروط اللازمة لتولي المناصب الرسمية، والتي هي شروط أيديولوجية بالأساس من خلال الإيمان بمبادئ جمهورية إيران الإسلامية والمذهب الرسمي للبلاد أي أن الاثنا عشرية كذهب غير كافي ما لم يقترن بالإيمان بولاية الفقيه المطلقة كما جاء بها الخميني (نهج الإمام). ويتضح هذا الأمر كذلك من خلال تغيير رمز العلم الوطني الإيراني بعد الثورة. أين أمر الخميني باستبدال الأسد الشمسي والذي يعد رمز الزرادشتية باسم الجلالة "الله".

تاريخياً كانت الشيعة (Shiism) نزعة سياسية أكثر منها عقيدة دينية تتمحور أساساً حول مسألة الخلافة أو الإمامة وأحقية طرف على غيره، حيث تعود الجذور الأولى للشيعة لأول تصادم سياسي وقع بعد وفاة النبي محمد (ﷺ) في عام 11 للهجرة (632 م)، أين دب الخلاف بين المسلمين على من يخلفه. فكان صراع بين المهاجرين والأنصار (سقيفة بني ساعدة) ثم بين المهاجرين (قريش) فيما بينهم، حيث ذهب بعض المسلمين أنه ينبغي اختيار خليفته عن طريق الشورى؛ فيما أراد آخرون توليه الحكم لأقارب الرسول (ﷺ) والذي سيعرفون فيما بعد بآل البيت. واستطاع المسلمون الأوائل تجاوز هذه المحنة لبضع سنين أين حكم كل من: أبو بكر الصديق (11هـ - 13هـ)، عمر بن الخطاب (13هـ - 23هـ)، عثمان بن عفان (23هـ - 35هـ)، وأخيراً علي بن أبي طالب (35هـ - 40هـ) وهو بن عم النبي وصهره، ومع الإمام علي ومن جاء بعده من نسله بدأ التاريخ الحقيقي للشيعة في التبلور. أين كان صراع الإمام علي مع معاوية بن أبي سفيان، ومع بعض كبار الصحابة (طلحة، الزبير، وعائشة) ذو أثر كبير في تشكيل الشخصية الشيعية.

(1) باكينلم الشرقاوي، "السياسة الخارجية الإيرانية"، الجزيرة، 2004/10/03، شوهد في 2018/02/01، في: <http://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/de4add73-ad4c-44ed-b455-5ec92a0f43a9>

والحقيقة أن الخلافات بين علي وشيعته من جهة، وخصومه من جهة أخرى آنذاك كانت سياسية خالصة، وحتى التمردات أو الثورات التي قادها بعض أبناء وأحفاد الإمام علي كانت كلها لأسباب تتعلق بالحكم وأحقية آل البيت فيه، بيد أن هذه النزعة السياسية انقلبت مع مرور الزمن إلى عقيدة دينية ومذهبية، خصوصاً بعد واقعة كربلاء (61 هـ - 680 م)، أين قتل الحسين بن علي على يد القوات الأموية. وبعدها كان لامتزاج الشيعة مع الثقافة الفارسية وأقوال الفرق الكلامية والصوفية دوراً أساسياً في تشكيل هذا المذهب. كما أن الفكر الشيعي تعرض لتحولات وانقسامات كثيرة وأحياناً جذرية بحيث في بعض الحالات لم يبقى إلا التسمية التي تجمع فرق الشيعة، لذا يجب على الباحث أو القارئ أن يكون مدركاً لهذه الأمور حتى يضع الأمور في نصابها.

تاريخياً لم تتحول إيران كدولة شيعية إلا في القرن السادس عشرة، وفي إطار صراع سياسي بين الدولة الصفوية (1501 م - 1736) والإمبراطورية العثمانية (1299 م - 1923 م)، أين قام الصفويون بنشر المذهب الشيعي وفرضه على الناس، ويعتبر الصفويون في الأصل سلالة تركية لا فارسية، ولأن إيران أو بلاد فارس كما كانت تسمى في تلك الحقبة لم يكن فيها عدد كافٍ من علماء الشيعة، فإنها لجأت إلى استيراد مجموعة من علماء الدين الشيعة العرب من لبنان، وبالتحديد من جبل عامل معقل الفكر الشيعي الجعفري من أجل إرساء دعائم هذا المذهب الجديد، إضافة إلى بعض علماء الدين الشيعة من البحرين.

ولا يستطيع أحد أن ينكر أثر الحكم الصفوي لإيران سواء سلباً أويجاباً على الشيعة، فالصفويين هم أول من جعل الشيعة الاثني عشرية مذهب رسمي للدولة وأغلبية ديمغرافية واستمر هذا الأمر حتى الوقت الحالي، كما تعتبر إيران الدولة الوحيدة التي استقر فيها التشيع كدين رسمي رغم بعض محاولات بعض الشاهات اللاحقين على غرار نادر شاه (تركي الأصل) مؤسس الدولة الأفشارية (1736 - 1796) إحياء مذهب السنة، ناهيك أن الدولة الصفوية ليست أول دولة أقامها حكام ينتمون للمذهب الشيعي، فقد سبقهم الفاطميون (الدولة العبيدية) والحمدانيون، والبرههون،... إلا أنهم لم يتركوا أثراً بعدهم بحيث اختفت الشيعة مع زوال دولهم ولم يبق لها أثر في المجتمع الذي حافظ على سنته عموماً. ورغم هذا، ورغم هذا التأثير من لدن العجم على التشيع والشيعة بيد أنهما حافظتا عموماً على أصالتهما العربية، إذ تعتبر الشيعة في الحقيقة مذهباً عربياً من حيث النشأة

والتطور والفكر، وحتى في إيران فإنّ ترسيخ هذا المذهب وتطويره كان على يد علماء الدين الشيعة العرب وليس الفرس، كما أن أهم مدينة لتكوين المالكي الشيعة وهي قم ويعود الفضل للعرب من أصول عراقية لتحويلها مركز حضاري ثم ديني، حيث استحوذوا على المجال الاقتصادي في هذه البلدة ليمتد فيما بعد للسيطرة الروحية⁽¹⁾.

ويعتبر الشيعة أقدم المذاهب الإسلامية، بيد أنّ الحديث عن التشيع كفكرة وعقيدة ليس بالأمر السهل تحديداً عندما يختلط الدين والاعتقاد بالسياسة (التحول من حركة سياسية إلى فرقة دينية) ما يجعل من الصعب التفريق بينهما والخروج بموقف واضح غير متحيز (مع/ضد)، لاسيما أن المسائل السياسية غالباً ما يتم إعطاؤها صبغة دينية لدى الجماعات التي بنت أساسها على أسس دينية خالصة، على غرار الشيعة الذين يستندون في نظريتهم إلى أحاديث نبوية تعبر عن حقهم في الحكم من خلال النص السماوي طبقاً لأمر من النبي محمد (ﷺ) في بعض الأحاديث مثل: حديث المنزلة، وحديث الغدير، وحديث الخلفاء القرشيين الاثنا عشر، ناهيك أننا نصطدم مع كتابات كثير حولهم غير أن أغلبها كتبها خصومهم السياسيين منذ الأمويين إلى غاية الوهابيين. فقد استعمل الأمويين (بني أمية) الكثير من المغالطات (الدعاية المفضضة) من أجل التشويش على خصومهم (آل البيت بصفة خاصة)، وقد ذهب البعض أنه كان لهم يد حتى في وضع بعض الأحاديث المنسوبة للنبي (الأحاديث الموضوعة)، وقد سلك بنو العباس بعد وصولهم إلى الحكم نفس المنهج تجاه خصومهم الأمويين (السب على المنابر مثلاً) والشيعة كذلك. رغم أن العباسيين -هم أيضاً من آل البيت (العباس عم النبي) - كانوا مع الدعوة الشيعية في الأصل، ثم انفصلوا عنها بعد استقرار الأمر لهم. وعلى هذا الأساس أعطت كثرة الدراسات المناوئة للشيعة والمعدة من مؤرخي العقائد والفرق الإسلامية على تعددها صورة مشوهة عن حقيقة عقيدة الشيعة وأفكارهم السياسية. كما يجب التنويه إلى أن مصادر الشيعة الأصلية قد كتبت في ظروف الدفاع عن عقائدهم (دفاع /هجوم) ضد المعارضين لهم، لذلك طغت عليها الصبغة السجالية وليس العلمية التي تستند على العقل والمنطق⁽²⁾. هذا لا ينفي

(1) أروي متحدة، برودة النبي الدين والسياسة في إيران، ترجمة: رضوان السيد، المشروع القوسي للترجمة العدد 481 (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003)، ص 21.

(2) فاخر جاسم، "تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الاثني عشرية في عصر الغيبة"، (أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية غير منشورة، مقدمة إلى مجلس آية القانون والسياسة الأكاديمية العربية المفتوحة في الدنمارك، 2008)، ص 3.

وجود بعض الكتابات النقدية والمعتدلة الشيعية، أمثال: موسى الموسوي، أحمد الكاتب، علي شريعتي، علي الوردي، جواد مغنية، حسن العلوي، ناصر بوربيرار.

من الناحية الديمغرافية يشكل الشيعة ثاني أكبر طائفة إسلامية بعد السنة، إذ يتراوح عددهم في العالم حالياً ما بين 154 و200 مليون نسمة بنسبة 10% إلى 13% من إجمالي عدد المسلمين في العالم (عدم وجود إحصائيات دقيقة)، ويقدر الباحث الفرنسي فرنسوا تويال (François Thual) عدد المسلمين في العالم بنحو مليار ومائتي مليون نسمة ومرجح أن يصل في السنوات القادمة نحو مليارين، يشكل الشيعة من 10 إلى 12% منهم⁽¹⁾. أما من الناحية الفكرية فقد ظهرت فرق كثير من الشيعة على مر وامتداد التاريخ الإسلامي فحسب الشيخ عبد القهار البغدادي (سني)، فإن الرافضة (الشيعة) افتقرت بعد زمان علي رضي الله عنه أربعة (04) أصناف كبرى: زيدية، إمامية، كيسانية وغلاة⁽²⁾. بيد أن أغلبها اختفى ولم يبق إلا الاثنا عشرية (الإمامية أو الجعفرية أو الرافضة تسمى كذلك)، وهم أكثر الشيعة عدداً في الوقت الحالي، حيث يشكلون حوالي 90% من الشيعة، يليهم من حيث العدد الإسماعيليون (عددهم حوالي 50 مليون) ثم الشيعة الزيدية، إضافة إلى الدروز.

ما يهمنا نحن من هذا كله المفهوم المعاصر للشيعة الذي أصبح يطلق على الاثنا عشرية وهم الطائفة الأبرز من الشيعة التي تقابل السنة. والذين يشكلون أغلبية سكان بعض البلدان كإيران، والبحرين، وأذربيجان، والعراق، وفي بعض البلدان، هم من كبرى الطوائف كبنان، كما يشكلون أقليات كبيرة في بعض البلدان كالسعودية، والكويت، وباكستان، وأفغانستان، والهند، وغيرها. وفي بلدان أخرى يشكلون أقليات صغرى، كقطر، والإمارات، وتركيا. ما جعل الجماعات الشيعية عنصراً وعاملاً لا يمكن تجاهله في أي تحليل جغرافي (جيوپولتيكي) للشرقين الأدنى والأوسط. خاصة أن منطقة الخليج العربي - الفارسي التي تحتوي على ثلاثة أرباع ¼ المخزون العالمي من النفط يسكنها 75% من الشيعة الموجودون في العالم⁽³⁾. وتجدر الإشارة هنا أن مصطلح الشيعة بشكل عام عرف بعض

(1) فرنسوا تويال، الشيعة في العالم صورة المستبعدين واستراتيجيتهم، ترجمة: نسيب عون (بيروت: دار الفارابي، 2007)، ص 25.

(2) أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي، الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم، تحقيق لجنة احياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة، ط 5 (بيروت: منشورات دار الأفاق الجديدة، 1982)، ص 15.

(3) فرنسوا تويال، المرجع السابق، ص 121.

الانتساع من الناحية الإعلامية بعد أحداث الربيع العربي أين تنامت الطائفية أكثر حيث أصبح يجمع في طياته العلويين في سورية (النصيرية) والزيديين في اليمن (الحوثيين) إضافة طابعاً إلى الشيعة الإثني عشرية.

من الناحية التاريخية تعد الاثنا عشرية فريقاً من الإمامية الذين ولدوا في القرن الثاني الهجري من بين عدد من الفرق الشيعية التي كانت تحارب الدولة الأموية وتلتف حول عدد من الأئمة العلويين أو الفاطميين. وامتاز الإمامية بلقبهم هذا لأنهم طوروا ولاءهم لأهل البيت من ولاء سياسي إلى عقيدة دينية، واعتقدوا أن الأئمة أي علي بن أبي طالب (ع) هو وأحد عشر إماماً من ولده (من زوجته فاطمة بنت النبي محمد) معصومين ومعينين من قبل الله. ورفضوا - بناء على ذلك- الشورى كطريق لانتخاب الإمام، وكان قولهم هذا رد فعل على تسلط الحكام الأمويين بالقوة وتداولهم للسلطة بالوراثة وادعائهم للعصمة ومطالبهم للأئمة بالطاعة المطلقة. أما النظرية السياسية لدى الاثني عشرية فقد ولدت بشكل خاص في صفوف الشيعة الموسوية (موسى الكاظم)، وبالأخص في الجناح المتشدد الذي كان يلتزم بقانون الوراثة العمودية (من الأب إلى الابن البكر) ولا يقبل أي تسامح فيه، وقد قال هذا الجناح بوجود قائمة مسبقة وتحديد أسماء الأئمة من قبل الرسول (ص) باثني عشر إماماً⁽¹⁾.

وقد شكلت هذه النظرية بصفة عامة المرجع السياسي الوحيد للشيعة الجعفرية، لكن بعد وفاة آخر ما يعرف بالأوصياء أو السفراء سنة 329 هجرية (علي بن محمد السَّمري)؛ والأوصياء في الفكر الجعفري هم أربعة (04) شخصيات كانوا يشكلون حمزة الوصل بين محمد بن الحسن العسكري (الإمام المهدي) وأنصاره (الغيبة الصغرى) دخلت الاثنا عشرية مرحلة جديدة عرفت بالغيبة الكبرى، وهي حالة انتظاريه طالّت لعدة قرون، كانت فيها علاقة الشيعي بالسلطة الزمنية يشوبها نوع من السلبية والعزوف وحتى الاحتقار، ذلك أن أية سلطة سياسية ليس الإمام المهدي على رأسها هي سلطة غير شرعية، كان النتيجة تشكل نظرية شيعية لا تستطيع إلا أن تخفض معنوياً من قيمة الدولة.

ومن أهم المصادر والمراجع الشيعية (الإمامية) التاريخية الأساسية في هذا الصدد نجد مؤلفات كل من: الشيخ الحسن بن موسى النوبختي، فرق الشيعة، سعد بن عبد الله

(1) أحمد الكاتب، الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري "حقيقة تاريخية؟.. أم فرضية فلسفية؟"، ط7 [ج.م.د.ن.، 2008)، ص 5، 25.

الأشعري القمي، المقالات والفرق. الشيخ محمد بن أبي زينب النعماني، الغيبة. الشيخ الصدوق، كما لا دين وتمام النعمة. الشيخ محمد بن محمد بن نعمان العكبري المفيد، الإرشاد، في معرفة حجج الله على العباد. الشيخ أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي (شيخ الطائفة)، الغيبة. أما أهم النظريات السياسية في الحكائيات عرفها الفكر السياسي الشيعي خلال هذه المرحلة فنجد: نظرية النيابة العامة، نظرية النيابة الملكية، نظرية المرجعية الدينية، ونظرية ولاية الفقيه المقيدة (النسخة الأولى) والتي كان علي الكركي العاملي أول من نادى بها. أما إسهام الإمام الخميني، فتعد ثورة وصحة في الفكر السياسي الشيعي، حيث طور الخميني نظرية سياسية جديدة تجمع بين نظرية النيابة العامة للفقهاء عن الإمام المهدي الغائب ونظرية ولاية الفقيه (المقيدة)، ما يعرف باسم ولاية الفقيه المطلقة، وهي مصطلح سياسي أحدث في الفقه والفكر السياسي الشيعي الاثني عشرية. بحيث ينوب الفقيه الجامع (آية الله أو آية الله العظمى) للشرائط في عصر غيبة عن الإمام الحجة (الإمام الثاني عشرة) في قيادة الأمة وإقامة حكم الله على الأرض حتى يظهر.

وقد نقلت هذه الخطوة الفكر السياسي الشيعي من مرحلة إجازة الفقهاء للملوك الحكم باسمهم ووكالة عنهم (ولاية الفقيه المقيدة) إلى مرحلة حكم الفقهاء المباشر وممارسة مهمات الإمام بشكل وبصورة كاملة⁽¹⁾. حيث يكون الملالي على رأس جميع أجهزة التنفيذ في إدارة المجتمع الإسلامي مثلما كان الرسول الأعظم (ﷺ)، وبهذا فقط يكون التجسيد الحقيقي للحكومة الإسلامية على حد تعبير الخميني.

والحقيقة أن الخمينية لا تلقى إجماعاً على أرض الواقع من لدى علماء الشيعة الكبار، الذين على قلتهم مازال الكثير منهم يتحفظ على ممارسة الملالي السلطة، حيث لم تلقى الخمينية سوى القليل من التأييد من طرف مراجع التقليد الكبار على غرار أبو القاسم الخوئي (1899 - 1992)، أو محمد كاظم شريعتمداري (1905 - 1986)، محمد جواد مغنية (1904 - 1979)، حسن طباطبائي القمي (1912 - 2007).... إلخ، ويعود السبب في رفض ولاية الفقيه المطلقة بصفة عامة والخمينية على وجه التحديد لسببين رئيسيين، الأول يتعلق كون ولاية الفقيه في الأساس نظرية مستوردة من الفقه السني، من خلال

(1) أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه، (بيروت: دار الجديد، 1998)، ص 414.

إسهامات الماوردي في كتابه: الأحكام السلطانية، حيث نقلها الكركي عندما كان يدرس بالأزهر واعطاها صبغة شيعية.

أمّا، السبب الثاني والأهم في معارضة ولاية الفقيه الخمينية كونها قوضت النظام الكيركي الشيعي الذي نشأ خلال الثلاث القرون المنصرمة، حيث ألحق الخميني الشريعة بالثورة وجعلها تابعة لها وليس العكس، ناهيك أن الجمعية التي كانت قائمة بين آيات الله العظام قد عرفت نهايتها على يد الخميني ولصالحه⁽¹⁾.

ثالثاً: الصراع الوهابي/ الاثنا عشري

1- وجهة النظر الوهابية للاثنا عشرية

تعتبر الوهابية السعودية الصراع القائم بينها وبين الشيعية قائماً على العقيدة بسبب تحريفهم للعقائد الإسلامية وسبهم للصحابية، وقد استعان آل سعود لتبرير هذه الرؤية بمجموعة كبيرة من علماء الدين الوهابيين وجندوا لهذا ترسانة من الكتب والفتاوى والقنوات الإعلامية والمواقع الإلكترونية التي تؤكد على هذا الأمر، والتي من السهولة الوصول إليها، فعلى سبيل المثال كتب أحد رجال الدين الوهابيين المشهورين: أبو بكر جابر الجزائري رسالة أسماها: هذه نصيحتي الى كل شيعي يتضمن فيها رؤيته للعقائد الشيعية، وبالتحديد الاثنا عشرية التي يعتبرها خارجة عن الإسلام، كما أن رأي المفتي العام للمملكة السابق عبد العزيز بن باز لا يزيد عن كونهم كفاراً في أغلبهم، إضافة أن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء السعودية المتكونة سابقاً من: عبد العزيز بن باز، عبد الرزاق عفيفي، عبد الله بن غديان، عبد الله بن قعود، لها الكثير من الفتاوى حول الشيعة تدور كلها تقريباً في نفس السياق، وهو بطلان عقيدة الاثنا عشرية، ومن بين المواقع السلفية (الوهابية) المهمة في الدعوة إلى الوهابية والذي يتضمن أيضاً مجموعة من الكتب للرد على الشيعة: المكتبة الوقفية. ولعل إلقاء نظرة بسيطة على عناوين الكتب المخصص للرد على الشيعة يعطينا صورة عن مدى الصراع القائم بينهما، فمن بين عناوين الكتب التي يحتويها هذا الموقع على سبيل المثال لا الحصر نجد: محمد بيومي، حقيقة الشيعة وهل يمكن تقاربهم مع أهل السنة. هجاء مساعد التيمي أبو ذر، الألوهية والعبودية في معتقد الرافضة. بدر بن ناصر بن محمد العواد، النصب والنواصب دراسة تاريخية عقدية. سليمان بن صالح الخراشي، أسئلة قادت شباب الشيعة إلى الحق. عبد الله بن منصور أبو حيمد، دعوى التحول إلى

(1) أوليفيروا، تجرية الإسلام السياسي، ترجمة: نصير مزّوة، ط2، (بيروت، دار الساقي، 1996)، ص 171.

مذهب الإمامية الاثني عشرية على شبكة المعلومات العالمية الانترنت عرض وتقد. سيد حسين العفاني، نجمي العرب حسن نصر الله والشيعة الرافضة الشر الذي اقرب. وحتى سلمان العودة الذي يعتبر أقل تشدداً له موقف يشابه فيه إخوانه الوهابيين⁽¹⁾. ما يعني أن هناك اجماعاً وهائياً على هذا الأمر.

أما الملاحظة التي يتوجب الوقوف أمامها فتتعلق بتركيز الكتابات الوهابية على الاثنا عشرية في حين تستثني الفرق الشيعية الأخرى الأكثر تطرفاً منها من المنظور السني العام، كما أنها تعتمد في الحكم على عقائد الشيعة من الكتابات السنية والتراثية القديمة، حيث توجه اللجنة الدائمة للبحوث العلية والإفتاء أغلب السائلين عن الشيعة نحو الكتب التالية: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، ومنهاج السنة لشيخ الإسلام ابن تيمية، وكتاب الفرق بين الفرق لعبد القاهر البغدادي، وكتاب الملل والنحل للشهرستاني، والملل والنحل لابن حزم، وكتاب مختصر التحفة الاثنا عشرية لشاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي. في حين أن هذه الكتب كتبت في سياقات تاريخية معينة وفي ظروف سياسية خاصة.

وعلى أرض الواقع فإن الكثير من المواجهات العنيفة تقع في موسم الحج بين حجاج من الشيعة وقوات الشرطة الدينية السعودية (المطوعة) بسبب ما يعتبره الوهابيون تشويهاً من لدن الشيعة لمناسك الحج من خلال إدخالهم بعض الممارسات المرفوضة من وجهة النظر الوهابية، وينعكس هذا الأمر مباشرة على العلاقات الثنائية بين السعودية وإيران، ذلك أن اثنين من أصل ثلاث حالات لقطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين كانت عقب مواجهات أثناء أداء مناسك الحج.

2- وجهة النظر السنية للاثنا عشرية

بعد عرض وجهة النظر الوهابية حول الشيعة من الضروري أن نرى وجهة النظر السنية تجاه الاثنا عشرية حتى ننفي أن هناك صراع عقائدي أو طائفي بين السنة والشيعة، ولنبداً بأحد أشهر الكتب السنية التي تناولت موضوع الفرق الإسلامية، وهو كتاب: الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية منهم، لعبد القاهر البغدادي، الذي تناول الاثنا عشرية ضمن فرق الإمامية الخمسة عشر، ويسميه القطعية لأنهم قطعوا بموت موسى

(1) سلمان بن فهد العودة، حوار هادي مع محمد الغزالي، (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 1989)، ص ص 70-75.

الكاظم وزعموا أن الإمام بعده هو علي بن موسى الرضا، أما كونهم غير مسلمين، فلم يأتي البغدادي على ذكرهم في الباب الرابع من كتابه الذي خصص لبيان الفرق التي انتسبت إلى الإسلام وليست منه، ما يدل على اعترافه بهم كجزء من المسلمين. أما محمد عمارة، فيرى أن مجمل أهل السنة لا يكفرون الشيعة بل ينحصر تفكيرهم سوى في قطاع من السلفيين⁽¹⁾. ومن بين العلماء البارزين الذين خاضوا في هذه المسألة شيخ الأزهر السابق محمود شلتوت الذي أفتى بجواز التعبد على المذهب الجعفرية. والشيخ محمد الغزالي، الذي قال: "[...] إن الشيعة لا يفترون عن الجمهور في اعتماد الأصول وبعدما سكنت فتنة النزاع على الخلافة والشقاق حول شخص الخليفة أصبح من العبث بقاء هذا التفرق وأصبح كلام الشيعة لا يزيد عن كلام أي مذهب إسلام في فقه الأصول والفروع [...]"⁽²⁾. ويضيف قائلاً: "[...] ولا يختلف السني عن الشيعي بالأخذ بسنة الرسول (ص)، فالاختلاف في الطريق الموصل إليها وليس في السنة في حد ذاتها [...]"⁽³⁾.

3- وجهة النظر الاثنا عشرية للوهابية

يربط الشيعة سواء كانوا عرباً أو عجماً بين الوهابية كفكر وايدولوجية وآل سعود بما جعل العلاقة بين بينهما أكثر تعقيداً وانعكست في نفس الوقت على العلاقة بين الدولتين، حيث يعتبرون أن آل سعود والنظام السعودي يشكل مع الوهابيين وجهان لعملة واحدة، وقد تركزت هذه النظرة المريبة أكثر مع اعتلاء رجال دين الشيعة السلطة في إيران. فنتيجة للأفكار الوهابية المتطرفة وسلوك الوهابيين السعوديين ضد الشيعة ومقدساتهم منذ أول دولة لهم (1744-1818)، مروراً بالثانية (1818-1891)، ووصولاً إلى النظام الحالي (1932-) تشكلت نظرة سلبية عند الشيعة عموماً تجاه الوهابيين، حيث لم يتوان الوهابيون في فترات زمنية سابقة عن استباحة دماء وأموال الشيعة. وتذكر مضايقي الرشيد، في كتابها: السياسة في واحة عربية إمارة آل الرشيد، أنه في نهاية القرن الثامن عشر أدت النشاطات السعودية الوهابية العسكرية في جنوب العراق إلى سلب الكثير من الحجاج الفرس المسافرين بين الحلة ومشهد علي، لذلك كان هؤلاء الحجاج يشعرون بعدم الأمان لدى السفر على الأراضي السعودية، وحاولوا في سنوات لاحقة تفادي الطريق المؤدي إلى

(1) محمد عمارة، فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفي، سلسلة قضايا إسلامية العدد 124 (القاهرة: وزارة الأوقاف، 2006)، ص 73.

(2) سلمان بن فهد العودة، المرجع السابق، ص 70.

(3) محمد الغزالي، ليس من الإسلام، (القاهرة: دار الشروق، 1998)، ص ص 63-64.

الدرعية، حيث كان يفضلون الطريق القديم المعروف بدرب زبيدة، (بين حائل وجبل شمر) الذي كان يسيطر عليه آل الرشيد. هذا الظلم والاضطهاد أعاد الوعي الجمعي الشيعي المبني أساساً على المظلومية التاريخية إلى الحالة القديمة، أين تعرضوا إلى القتل والتهميش من لدن الأمويين، لذا لا نستغرب أن الكثير من مفكرهم يشبهون آل سعود ببني أمية ويكونون لهم نفس الحقد والعداء.

صورة سيئة للغاية إذن يملكها الإيرانيون الشيعة تجاه السعودية، عمقها إضافة إلى طبيعة الوهابية العدوانية والمورث التاريخي دعم السعوديين لأعداء إيران، فقد كان لدعم السعودية ودول الخليج للعراق مالياً وسياسياً أثار بليغة على النفس والشخصية الإيرانية، فعندما غزا العراق إيران سنة 1980 كان الخميني يردد دائماً أن هذا الأمر ما هو سوى مكيدة من السعودية والولايات المتحدة الأمريكية. كما كانت هناك إشاعات وأخبار عن تقديم السعودية وإسرائيل وأمريكا مساعدات ودعمًا مالياً لابن الشاه المخلوع رضا بهلوي الثاني قدرت آنذاك 800 مليون دولار من أجل القيام بعملية انقلابية على النظام الجديد⁽¹⁾. زد على هذا الخسائر التي يتكبدها الإيرانيون جراء السياسة النفطية السعودية التي تخدم حسبهم العدو الأمريكي على حساب حياة ومعيشة الشعب الإيراني. كما أن محاولة المملكة التشويش على إيران من خلال دعم الحركات المعارضة لها لعل أهمها حركة مجاهدي خلق، واعتبار الشيعة أخطر من الكيان الصهيوني خلق ردة فعل عكسية عند الشعب الإيراني حكومته.

ويؤمن الجعفريون أن الوهابية مذهب مستقل بنفسه لا يمثل السنة بتقريبه بالعنف، إذ يقول محمد جواد مغنّية: "[...] أن المبدأ الأول للوهابية، وشعارهم الوحيد، إمام الوهابية وإمام السيف، فن اعتنقها سلم، ومن أبي أبيح دمه وذبحت أطفاله ونهبت أمواله، ومحال أن ينظر الوهابي إلى غيره إلا بهذه العين المكفرة المستحقة للأرواح والأموال [...]"⁽²⁾. أمّا أحمد الكاتب فيرى أن الحديث عن الوهابية نموذج للحديث عن الحركات الإسلامية المتطرفة التي تحتكر الإسلام لنفسها وتجرّد الآخرين منه أو تشكك في إيمانهم⁽³⁾. بينما يعتقد الإمام الخميني أن الوهابية مذهب خرافي لا أساس لأي شيء منه

(1) بنفشه كي نوش، العلاقات السعودية الإيرانية منذ بداية القرن العشرين إلى اليوم، ترجمة: إيشام بن حضراء (بيروت: دار الساقي، 2017)، ص 27.

(2) محمد جواد مغنّية، المرجع السابق، ص 78-79.

(3) أحمد الكاتب، الفكر السياسي الوهابي قراءة تحليلية، المرجع السابق، ص 9.

على الإطلاق يسوق الناس والشعوب الغافلة نحو القوى الكبرى ويستغل القرآن الكريم لهذا الإسلام والقرآن⁽¹⁾.

ويؤكد رئيس البرلمان الإيراني علي لاريجاني، في إحدى تصريحاته أثناء جلسة مجلس الشورى الإسلامي، "[...] أن السعودية ومنذ 60 عاماً كانت عاملاً لنشر إيديولوجية العنف من خلال نشر الوهابية التي تمثل إيديولوجية العنف في العالم، وذلك باسم نشر الإسلام ومن خلال بناء المساجد وتعليم الشباب. ومن جهة أخرى حاول النظام السعودي تهيمش الأزهر الذي هو مركز فكري معتدل وأكثر عمقاً لأهل السنة"[...]⁽²⁾. في حين ذهب محمد جواد ظريف وزير خارجية إيران، أن الوهابية إيديولوجية تابعة منالكراهية معادية لكل من يخالفها، حيث لم تستثني أحد سواء شيعة أو سنة، كما تستهدف المسيحيين، اليهود، واليزيديين، فالمشكل ليس في الصراع القديم بين السنة والشيعة، وإنما هو صراع بين الوهابية والإسلام ككل، فعلى مدى العقود الثلاثة الماضية أنفقت الرياض عشرات المليارات من الدولارات لتصدر الوهابية للعالم من آسيا إلى أفريقيا، ومن أوروبا إلى الأمريكتين من خلال بناء وتمويل الآلاف من المساجد والمدارس. هذا الانحراف اللاهوتي الوهابي المدمر قد شوه الإسلام. حتى قيل إن "السعوديين غيروا الإسلام تماماً بأموالهم". وعليه الكثير من أعمال العنف التي ترتكب باسم الإسلام يمكن أن تعزى إلى الوهابية⁽³⁾.

والحقيقة أن المجتمع الشيعي عموماً الذي عاش فترة طويلة في الهامش وتحت الاضطهاد من طرف المنافسين السياسيين ترتخت فكرة المظلومية لديه منذ أيام الإمام علي (ع) تم الحسين وكرلاء التي تعتبر نقلة في الفكرة الشيعي جعلته أكثر تطرفاً، ويتقاطع هذا الأمر مع الوعي الجمعي والمتخيل الإيراني القديم والحديث الذي رسم صورة سوداوية عن السعوديين الذين أسهموا إما بشكل مباشر أو غير مباشر في المساس بالهوية الشيعية

(1) سيد روح الله الخميني، الوصية الخالدة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، شوه في 2017/02/01، في: https://almaaref.org/books/contentsimages/books/miscellaneous/al_waseya_al_khaleda/index.htm

(2) "لاريجاني: السعودية ومنذ 60 عاماً كانت عاملاً لنشر إيديولوجية العنف"، وكالة أنباء فارس، 2017/05/23، شوه في 2017/06/01، في: <http://ar.farsnews.com/iran/news/13960302000480>

(3) Mohammad javad zarif, "let us rid the world of wahhabism"⁽³⁾, The New York Times, 08/22/2016, accessed on https://www.nytimes.com/2016/09/14/opinion/mohammad-javad-zarif-let-us-rid-the-world-of-wahhabism.html?_r=0

والمصلحة الإيرانية. لهذا - كما يشير الباحث الإيراني مهدي خلجي- تعتبر السياسات الإيرانية المعادية للمملكة مشروعة وضرورية من وجهة نظر الحكومة والشعب الإيراني، بل أن التدخل العسكري للنظام في أجزاء مختلفة من المنطقة مشروع وضروري أيضاً نتيجة هذه الرؤية⁽¹⁾.

والواقع أن الإيرانيين يبدو أنهم يعادون سياسة الدول العربية، وبالتحديد الدول الخليجية أكثر مما يعادون العربية سواء ثقافة أو عرقاً، وإلا كيف يمكن تفسير أن اللغة العربية إجبارية في المدارس الإيرانية طبقاً للدستور، إذ تنص المادة (16): "بما أن لغة القرآن والعلوم والمعارف الإسلامية هي العربية، وأن الأدب الفارسي ممتزج معها بشكل كامل؛ لذا يجب تدريس هذه اللغة بعد المرحلة الابتدائية حتى نهاية المرحلة الثانوية في جميع الصفوف والاختصاصات الدراسية". كما أن الترقى في المسؤوليات والمناصب السياسية داخل النظام لأفراد من أصول عربية يؤكد هذا الافتراض، زد على هذا أن الهوية الشيعية التي يتبناها النظام مرتبطة بالعرب من خلال آل البيت والأسياد (أصحاب العمائم السود) والعربية من خلال النصوص والكتب الدينية الأساسية، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن تتضارب معهما.

خاتمة:

يمكننا القول في خاتمة هذه الدراسة أن الأيديولوجية تعتبر مهمة في فهم الصراع على حقيقته. لا سيما أن المعتقدات المشتركة الناتجة عنها تؤدي إلى خلق شعور بهوية للمجموعة وتحديد أعضائها وخصومها ومن تم العمل ضدهم. ما يعني أن فهم الإيديولوجية وتفكيكها يعد مفتاح الحل الفعال للعديد من الصراعات وكيفية إدارتها. بيد أن الصعوبة الكبرى تكمن في أن الإيديولوجية لطالما كانت غير مفهومة ومتقلبة مما قد يعطي انطباعات خاطئة؛ ناهيك أنه لا توجد دولة إيديولوجية بشكل كامل ذلك أن غالباً من تكون سياسية الدول براغماتية حتى ولو ادعت العكس. ما يعني أن الفصل بين الاعتبار المصلحي

(1) مهدي خلجي، "الحذر بين المملكة العربية السعودية وإيران"، معهد واشنطن، 2016/10/04، شوهد في 2017/09/01، في:

<<http://www.washingtoninstitute.org/ar/fikraforum/view/on-saudi-arabia-and-iran-tread-lightly>>

والإيديولوجي للدول يعد في الحقيقة أحد الحلول الناجعة لتفسير الصراع والأهم من ذلك استشراف مستقبلها.

وتعد الحرب الباردة الإقليمية التي تخوضها كل المملكة الإسلامية والجمهورية الإسلامية في جزء منها نابعة من التناقض الإيديولوجي بين الطرفين والذي تخفض وترتفع نسبة الإيديولوجية فيها حسب رغبة النظام السياسي وحسب المناخ العام والوضع الإقليمي، إذ من السطحية الاعتقاد أن السعودية أو حتى إيران تمثلان دولة إيديولوجية بحتة تبني كل سلوكياتها الخارجية على هذا الأساس، وإنما كما يشير الواقع السياسي دولتان ذات توجه براغماتي بالأساس، ما أريد أن أقولها هنا أن الإيديولوجية (الوهابية أو الخمينية) وإن كانت جزء من شخصية النظامين غير أنها توظف في سياقات معينة ومحددة لتوافق مع سياسية الدولة وتوجهاتها. ذلك يبقى التفسير الإيديولوجي للصراع الإيراني-السعودي رغم عدم ظهوره أو أخذه حيزاً كبيراً ضمن أسباب التوتر بين الطرفين أحد التفسيرات المهمة والمنطقية لحالة التوتر بين الغريمين لاسيما أن النظامين يدعيان إسلاميتهما، وأنهما يطبقان الشريعة في أمور الدين والدنيا. وتعد هذه النقطة المشتركة (محاولة احتكار الإسلام) أحد أكثر الأسباب التي توجب نار الصراع بين الطرفين بسبب التنافس على حيازة هذه الشرعية والقوة الناعمة التي تخول لهما حق تمثيل أزيد من مليار ونصف المليار من مسلمي العالم، أما السبب الثاني في هذا الأمر فيتمحور على طبيعة كل من الوهابية والخمينية إذ هما إيديولوجيتان متناقضتان من الصعب جداً أن يتعاشيا نتيجة الطبيعة الإقصائية للوهابية وكذا تصورها القائم على أنها تمثل الأئمة الحقيقي والنقي والوحيد للإسلام وللدولة الإسلامية، وفي هذا الصدد تملك الوهابية مشروعاً تاريخياً (دولة السلف الصالح) في حين تملك الشيعة مشروعاً انتظارياً (عودة إمام الزمان) تعتبره هو الآخر الأئمة الإسلامي الصحيح والواجب الاقتداء به، وعلى هذا يخرج الصراع من مجرد تزمته وهابيه ضد الشيعة وطقوسهم إلى تصور للدولة واستقرارها وشرعيتها، وما الوهابية أو الاثنا عشرية في هذه الحالة سوى أدوات إيديولوجية فعالة لتحقيق هذا الغرض لما تملكه من قوة على التجنيد والحشد، دلالة ذلك نجدها بالعودة إلى تاريخ العلاقات الإيرانية-السعودية والتي بدأت بشكل رسمي عام 1925 أي في عهد الشاه رضا خان والملك عبد العزيز، وقد تميزت العلاقات بين البلدين -آنذاك- بشكل عام حتى الثورة الخمينية بكونها حسنة إلى حد بعيد؛ فإيران لم تكن تشكل منافساً إيديولوجياً للسعوديين في حين يعد نظام الخميني منافساً

إيديولوجياً لهم من حيث يحاول تجريدهم من أهم نقاط قوتهم وهي الزعامة الإسلامية. والجدير بالإشارة هنا أن الصراع السعودي-الإخواني راجع في جزء منه إلى المنافسة التي يمكن أن يشكلها هذا التيار الإسلامي السني في حالة نجاحه على حساب التصور السعودي. كما أن الصراع العثماني-السعودي-لاسيما أيام الدولة السعودية الأولى والثالثة- كان هو الآخر يندرج ضمن هذا الباب.

والحال أن الصورة السلبية التي يملكها الطرفان الوهابية والشيعة عن بعضهما انعكست بشكل مباشر على الصراع السياسي وجعل منها أحد أهم قنوات تغذيته وإعادة إنتاجه، وقد سعت كل من إيران والسعودية على أرض الواقع إلى تصدير رؤيتهما في جميع أنحاء العالم الإسلامي. حيث يتنافس البلدان على الهيمنة الإقليمية السياسية والروحية من خلال دعم الجماعات المتنافسة في الشرق الأوسط وفي مناطق أخرى في العالم. وكما هو الحال في جلا لصراعات السياسية تستخدم إيران والسعودية الحقائق التاريخية بطرق مختلفة لدعم رؤية كل منها. مع ذلك، لا يمكننا اعتبار هذا النوع من الصراع صراعاً إيديولوجياً أكثر منه صراع سياسي على القوة المعنوية والناعمة الناتجة عن هذا التمثيل الحصري للإسلام. فالإيديولوجية وحدها (الوهابية أو الخمينية) لا يمكن إلقاء اللوم عليه في العلاقة المضطربة بين القوتين الإقليميتين، وإن كان هذا لا ينفي وجود خلافات إيديولوجية جوهرية بين إيران الشيعية والسعودية الوهابية انتقلت في بعض الأحيان إلى سياساتهما الإقليمية واختيار الحلفاء.

قائمة المراجع:

أولاً: المراجع باللغة العربية

أ. الكتب

1. إبراهيم، بدر، الصادق، محمد. الحراك الشيعي في السعودية: تأسيس المذهب ومذهبة السياسة. (بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2013).
2. ارتس، بول، رولانتس، كارولين. العربية السعودية: مملكة في مواجهة المخاطر، ترجمة: ابتسام الخضر (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2016).
3. ارتس، بول، نوثمان، غريد (تحرير). المملكة العربية السعودية في الميزان الاقتصاد السياسي والمجتمع والشؤون الخارجية. ط 2 (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2013).

4. البريدي، عبد الله. السلفية الشيعية والسُّنَّة بحث في تأثيرها على الاندماج الاجتماعي، (بيروت: الشركة العربية للأبحاث والنشر، 2013).
5. البغدادي، أبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد. الفَرْقُ بين الفِرَقِ وبيان الفرق الناجية منهم. تحقيق لجنة احياء التراث العربي في دار الأفاق الجديدة، ط 5 (بيروت: منشورات دار الأفاق الجديدة، 1982).
6. بكر، تامر طه. السلفية بعيون غربية. (الرياض: مركز البيان للبحوث والدراسات، 2015).
7. بن بشر النجدي الحنبلي، عثمان بن عبد الله. عنوان المجد في تاريخ نجد. تحقيق: عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله آل الشيخ، ج 1، ط 4 (الرياض: مطبوعات دار الملك عبد العزيز، 1982).
8. بن عبد الوهاب النجدي، سليمان. الصواعق الإلهية في الرد على الوهابية. ط 3 (إستانبول: مكتبة أشيق نكّاب أوى، 1979).
9. بن غنام، الحسين. تاريخ نجد. تحرير وتحقيق: ناصر الدين الأسد، ط 4 (بيروت: دار الشروق، 1994).
10. بوهر، كارل. بؤس الايديولوجيا نقد مبدأ الأنماط في التطور التاريخي، ترجمة: عبد الحميد صبره، (بيروت: دار الساقى، 1992).
11. بوركهات، جون لويس. ملاحظات عن البدو والوهابيين. ترجمة: صبري محمد حسن، ج 2 (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2007).
12. البوطي، محمد سعيد رمضان. السلفية: مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي. (دمشق: دار الفكر، 1988).
13. تويال، فرنسوا. الشيعة في العالم صحة المستبدين واستراتيجيتهم. ترجمة: نسيب عون (بيروت: دار القارابي، 2007).
14. الخزندار، سامي إبراهيم. إدارة الصراعات وقض المنازعات إطار نظري. (الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2014).
15. انخني، سيد روح الله. الحكومة الإسلامية. ([د. م. د. ن.، د. ت.]).
16. دحلان، أحمد بن زيني. فتنة الوهابية. (إستانبول: مكتبة أشيق نكّاب أوى، 1978).

17. دخيل، محمد حسن. أنظمة الحكم في الوطن العربي دراسة مقارنة. (بيروت: دار مكتبة البصائر، 2014).
18. السويدي، جمال سند. السراب، (أبو ظبي، [د.ن.أ.]، 2015).
19. شايعان، داريوش. ما الثورة الدينية؟ الحضارات التقليدية في مواجهة الحداثة. ترجمة: محمد الرحوني، (بيروت: دار الساقي، جنيف: مع المؤسسة العربية للتحديث الفكري، 2004).
20. العروي، عبد الله. مفهوم الإيديولوجيا. ط8، (الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2012).
21. علي، جمال سلامة. تحليل العلاقات الدولية.. دراسة في إدارة الصراع الدولي. (القاهرة: دار النهضة العربية، 2012).
22. عمارة، محمد. تيارات الفكر الإسلامي. ط2 (القاهرة: دار الشروق، 1997).
23. عمارة، محمد. فتنة التكفير بين الشيعة والوهابية والصوفي. سلسلة قضايا إسلامية العدد 124 (القاهرة: وزارة الأوقاف، 2006).
24. العودة، سلمان بن فهد. حوار هادئ مع محمد الغزالي. (الرياض: الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، 1989).
25. الغزالي، محمد. ليس من الإسلام. (القاهرة: دار الشروق، 1998).
26. الكاتب، أحمد. الإمام المهدي محمد بن الحسن العسكري "حقيقة تاريخية؟.. أم فرضية فلسفية؟. ط7 ([د.م.د.ن.أ.]، 2008).
27. (—، —). الفكر السياسي الوهابي قراءة تحليلية. ط3 (القاهرة: مكتبة مدبولي، 2008).
28. (—، —). تطور الفكر السياسي الشيعي من الشورى إلى ولاية الفقيه. (بيروت: دار الجديد، 1998).
29. لوبيز، فيليب سيبل. الجغرافيات السياسية للبترو، ترجمة: نجاة الصليبي الطويل، (أبو ظبي: هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة، 2013).
30. متحدة، روي. بردة النبي الدين والسياسة في إيران. ترجمة: رضوان السيد، المشروع القومي للترجمة العدد 481 (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2003).

31. مجموعة باحثين، السياسة الطائفية في منطقة الخليج، تقرير موجز رقم 7 (الدوحة: مركز الدراسات الدولية والإقليمية، 2015).
32. مغنية، محمد جواد. هذه هي الوهابية. ([د. م: د. ن، د. ت.]).
33. منها، محمد نصر، معروف، خلدون ناجي. تسوية المنازعات الدولية مع دراسة لبعض مشكلات الشرق الأوسط. (القاهرة: مكتبة غريب للطباعة والنشر، 1996).
34. نوش، بنفسه كي. العلاقات السعودية الإيرانية منذ بداية القرن العشرين إلى اليوم. ترجمة: إيتسام بن خضراء (بيروت: دار الساق، 2017).
35. هوكس، ديفيد. الأيديولوجية. ترجمة: إبراهيم فتحي، المشروع القومي للترجمة 159 (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2000).
- ب. المقالات:
1. بدوي، منير محمود. "مفهوم الصراع: دراسة في الأصول النظرية للأسباب والأنواع". مجلة دراسات مستقبلية: العدد 3، (يوليو 1997).
- ت. الدراسات غير المنشورة:
1. جاسم، فاخر. "تطور الفكر السياسي لدى الشيعة الاثني عشرية في عصر الغيبة". (أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية غير منشورة، مقدمة إلى مجلس آية القانون والسياسة الأكاديمية العربية المفتوحة في الدمام، 2008).